Bible Study

The Second Epistle of St. Paul to the Corinthians

رسالة معلمنا بولس الرسول الثانية إلي أهل كورنثوس

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

الاصحاح الخامس: كيف نتصالح مع الله؟

- تحدث القديس بولس في الاصحاح الأول عن الحب المتبادل بين الراعي والرعية وبين الرعية وبعضها البعض، ثم تحدث في الاصحاح الثاني عن كيف نكون رائحة ذكية للسيد المسيح وكيف نقدم للخاطئ التائب محبة صادقة ثم تحدث في الاصحاح الثالث عن مجد الخدمة في العهد الجديد التي تهب الحياة. وفي الاصحاح الرابع تحدث عن الأمانة في الخدمة وشجاعة المسيحيين وقوتهم وسط الآلام والأتعاب.

- وفي هذا الاصحاح يختم حديثه عن خدمة العهد الجديد ويقدم مفهوم رقيق للحياة مع الله وهو المصالحة مع الآب السماوي فيرفع القلوب إلى العرش السماوي لكي يدخل الكل إلى حضن الآب.

- وقد قدم هذا المفهوم كسفيرٍ للسيد المسيح كارزاً المؤمنين ومنادياً:

"تصالحوا مع اللَّه"

"لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضي، فلنا في السموات بناء من الله، بيت غير مصنوع بيدٍ، أبدي. فإننا في هذه أيضًا نئن، مشتاقين إلى إن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء" [1 - 2]

- أراد القديس بولس أن يكشف عن السرّ الخفي الذي يدفع الخادم الحقيقي كي لا يفشل ولا ييأس وسط الضيقات اليومية بل والميتات الكثيرة. إنه يرى أبواب السماء مفتوحة وبيته غير المصنوع بيدٍ بشريةٍ ينتظره.

- يرى حياة جديدة فريدة نال عربونها الآن، ويتمتع بكمالها في الأبدية.

- كما يرى حضن الآب ينتظره ليستقر فيه أبديًا، لذلك يقول: "نحن نعلم" فيكشف عن يقين الرجاء الذي فيه بأن له موضع في السماء يدعوه بيتًا، إما جسده وحياته هنا فيدعوها "خيمة" لأنها غير مستقرة وستنقض أي تنتهي.

- إذ نحن في هذا الجسد، نئن من الضعفات التي تحل بنا والتجارب التي تواجهنا، فنشعر أن الحياة مملوءة بالآلام والأحزان فنفضل الرحيل إلي السماء.

- قوله "مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء" يعني أن الذين يؤمنوا بالله ويسلكون بالروح مشتاقين أن يلبس جسدهم (خيمتهم) ثوب عدم الفساد، أي يلبسوا السيد المسيح، لكي يتهيأوا للحياة السماوية: "بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات" (رومية 13: 14)

"وإن كنا لابسين لا نوجد عراة. فإننا نحن الذين في الخيمة نئن مثقلين، إذ لسنا نريد إن نخلعها، بل إن نلبس فوقها، لكي يُبتلع المائت من الحياة" [3 - 4]

- من استعد للرحيل ونال عربون المجد لن يوجد عاريًا بل يلبس الروح، ويكون هيكلاً مقدسًا له فلا يتركنا الروح عاريين بل يسكب فينا مجد الرب يسوع القائم من الأموات. فبالرغم من أن القيامة عامة للجميع، لكن المجد ليس عامًا للجميع، إنما يقوم البعض في كرامةٍ، وآخرون في هوانٍ، البعض إلى الملكوت يلبسون السيد المسيح والآخرون إلى العقوبة يُسلّمون لجهنم، ويوجدون عراة.

- نحن الذين في الخيمة مثقلين بالضعف الجسدي والمتاعب والضيقات نئن بسبب الحمل الذي نلتزم به. فالحياة البشرية ككل هي حالة من التعب، خاصة بالنسبة لنا نحن الذين نُضطهد على الدوام ونحمل إماتة جسد الرب يسوع وإن كنا نختبر الحياة المقامة المعزية في الرب يسوع. إننا لا نريد إن نخلع هذه الحياة وتحل ساعة رحيلنا قبل الوقت الذي يراه الله مناسبًا لنا ولبنيان الكنيسة ومجد اسمه القدوس. ولكن تمتعنا بعربون الخلود يجعلنا نشعر أن المائت قد أُبتلع بالحياة الأبدية ولم يعد للخطية أو الفساد سلطان علينا.

"ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله، الذي أعطانا أيضًا عربون الروح. فإذا نحن واثقون كل حين، وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب" [5 - 6]

- يشرح القديس بولس أن هذه الأمور قد أُعدت من البداية. إنها لم تصدر الآن وإنما منذ بدء الخليقة، عندما خُلق آدم. فإن الله لم يخلق الإنسان الأول لكي يموت وإنما ليجعله خالدًا. لتحقيق هذا يوضح أننا قد نلنا الروح كعربونٍ (ضمان).

- يقول القديس باسيليوس الكبير: "بالرغم من أن الروح لا يقبل المزج مع غير المستحقين، إلا أنه يبدو بطريقة أنه حاضر معهم متى خُتموا، منتظرًا الخلاص الذي يتبع تغييرهم... لكن عندئذ عندما يدين الرب العالم في برّ سيكون الروح حاضرًا معه... وسيُنزع الروح تمامًا من النفس التي دنست نعمته. لهذا يقول: **"ليس في الموت من يذكرك ولا في الجحيم من يعترف لك" (مزمور 6: 5)** حيث عون الروح لا يوجد بعد. كيف إذن يمكن إدراك أن الدينونة تتحقق بدون الروح القدس بينما تشير الكلمة إلى أنه هو نفسه مكافأة الأبرار؟"

- السماء هي بيتنا الحقيقي، وسكانها هم الشعب المنتمي إليه. هكذا النفس وهي مستوطنه في الجسد بكونه بيتها، فهي متغربة عن الله ومدينته وشعبه، إذ هي مهيأة للمجد الأبدي اللائق بها لتكون في حضرة الرب، تلتقي به وجهًا لوجه.

"لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان. فنثق ونُسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد، ونستوطن عند الرب. لذلك نحترس أيضًا، مستوطنين كنا أو متغربين، أن نكون مرضيين عنده" [7 - 9]

- هنا نعيش **بالإيمان**، فنثق بكلمة الله ووعوده الإلهية، ونتمتع بعربون المجد كتذوقٍ مقدم لما سنراه وجهًا لوجه بالعيان. فالذين يولدون بالروح من فوق يشعرون بالتغرب هنا حتى يلتقوا بالله أبيهم في سمائه. يقول الكتاب: **"بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي" (عبرانيين 11: 8)**. لقد توقف عن المعرفة الأرضية، ولم يتعلق فكره بأي شيء على الأرض فنال الميراث الأبدي.

- وإذ **نسلك الآن بالإيمان** نشتهي أن نتمتع بما هو **بالعيان**، ففي وسط أتعابنا الكثيرة نثق بما نلناه من عربون الروح وبالمواعيد الإلهية مشتهين إن **نخرج من الجسد ونتغرب عنه** إلى حين لنتمتع بالمجد الذي ننعم به ونراه.

- سواء كنا لانزال في الجسد أو **متغربين** عنه، أي مشغولين بالمجد الأبدي، فما نحرص عليه وما نجاهد من أجله (**نحترس**) هو أن نكون موضع **رضا الله**.

"لأنه لابد أننا جميعًا نظهر أمام كرسي المسيح، لينال كل واحدٍ ما كان بالجسد، بحسب ما صنع، خيرًا كان أم شرًا (كما نصلي في القداس).
فإذ نحن عالمون مخافة الرب نقنع الناس، وأما الله فقد صرنا ظاهرين له، وأرجو أننا قد صرنا ظاهرين في ضمائركم أيضًا" [10 - 11]

- سرّ شهوة قلب المؤمن أن يكون موضع رضا الله وترقبه للظهور أمام العرش الإلهي للدينونة، فيتمتع بعمل النعمة التي سندته وبررته، فينال حسب ما صنعه وهو في الجسد، أي أن الانسان، كاملاً، جسداً وروحاً، ينال ثمره بفيضٍ في يوم الرب العظيم. وإذ نتمتع بمخافة الرب ونترقب هذا اليوم العظيم نقنع الناس أن يقبلوا الإيمان بذاك القادر أن يبررهم ويقدسهم ويمجدهم في ذلك اليوم.

- مخافة الرب التي هي رأس الحكمة تدفعنا للشهادة للّه والاهتمام بخلاص البشر، ليس إرضاءً للناس ولا لنوال مكافأة منهم، وإنما إرضاء لذاك الذي يفحص قلوبنا ويعرف نياتنا الداخلية. وإذ نسعى هكذا باستقامة قلب نرجو إن يتكشف ذلك أمام ضمائر الناس الداخلية فيتمثلوا بنا ويجاهدوا معنا.

- يجب أن نغرس الفضيلة في نفوسنا من الداخل على أن لا نهمل أن يكون منظرنا الخارجي حسنًا فيلزم أن نعتني بما هو "ظاهر" أمام الله والناس.

"لأننا لسنا نمدح أنفسنا أيضًا لديكم، بل نعطيكم فرصة للافتخار من جهتنا، ليكون لكم جواب على الذين يفتخرون بالوجه لا بالقلب. لأننا إن صرنا مختلين فلله، أو كنا عاقلين فلكم" [12 - 13]

- يعتذر القديس بولس عن دفاعه عن نفسه وعن العاملين معه موضحًا أنه ليس من أجل نفسه ومن معه، ولا لأنه يطلب منهم شيئًا، وإنما التزم بذلك لكي يقدم لهم ما ينطقون به لدى الذين يشتكون ضده. إنه لا يطلب لنفسه مديحًا، بل يقدم لهم مادة كي لا يعطل أحد خدمتهم. لم يكن بالأمر السهل عليه أن يدافع عن نفسه، فقد حسب نفسه كمن صار مختل العقل أو مجنونًا. وقد فعل هذا من أجل الله، حتى لا تتعطل الخدمة فإن ظهر كمجنونٍ أو كعاقلٍ لا يشغله هذا، لكنه يطلب ما هو للّه، وما يسندهم في خدمتهم. إذ اضطر للدفاع عن خدمته، رفع قلوبهم معه إلى السماء ليروه مشغولاً لا بالبقاء في خيمة الجسد الوقتية بل في البناء السماوي والسماويات. فإننا نمدحه عندما يهرب من المخاطر بنفس المقدار حينما يواجهها، إذ كان يرى في الأولى حكمة، وفي الثانية شجاعة.

- وفي استخدامه الكلام بافتخار أو عدم افتخار، يحمل الاثنان نفس معنى التواضع، ففي الأولى يتحدث بتمييز وفي الثانية بوداعة.

"لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا: إنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذًا ماتوا. وهو مات لأجل الجميع، كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم، بل للذي مات لأجلهم وقام" [14 - 15]

- لم يشغل قلب القديس بولس دفاعه عن نفسه، قدر حبه للسيد المسيح الذي سحب كل كيانه إلى الصليب، ليراه قد مات عن الجميع كي يموت معه الكل ويرتفعوا معه إلى سمواته ويشتركوا معه في أمجاده السماوية.

- هكذا سحب القديس بولس أهل كورنثوس من الحديث عن محبته هو ومن معه لهم وإخلاصهم في الخدمة إلى التمتع بالحب الإلهي العملي خلال الصليب، ورفع قلوبهم إلى السماوي. عند الصليب يموت الكل مع السيد المسيح، خاصة الخدام، فلا يطلب الخادم ما لنفسه بل ما هو لمجد الله وبنيان كنيسته.

- هذا هو عمل السيد المسيح الخلاصي إذ يرتفع على الصليب فيجذب الكل إليه "وأنا ان ارتفعت عن الارض اجذب إليَّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت" (يوحنا 12: 32 - 33)، فيعيش الكل معه كجسدٍ له، وهو لهم، يموتون معه ويقومون معه، يتألمون معه ويتمجدون معه ويرتفعون إلى حيث هو قائم في سمواته.

"إذًا نحن من الآن لا نعرف أحدًا حسب الجسد، وإن كنا قد عرفنا المسيح حسب الجسد، لكن الآن لا نعرفه بعد. إذًا إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا" [16 - 17]

- "لا نعرف أحدًا حسب الجسد"، بمعنى أننا لا نرتبط بالشخص ونقدِّره من أجل علاقاته الأسرية أو الرباطات الدموية أو الإمكانيات الجسدية أو المادية إنما نتعرف عليه خلال محبة السيد المسيح الفائقة كشريكٍ معنا في الآلام والأمجاد السماوية. فكل عقل يرتفع ويتشكل في الصلاة حسب نقاوته. فإن كان مهتمًا بالأمور المادية الأرضية يحمل هذه النظرة أمامه، وتبقى هذه النظرة قدام عينيْ نفسه الداخليتين في رؤيته للرب يسوع، سواء عندما جاء في تواضعه في الجسد (عرفنا المسيح حسب الجسد)، أو عند مجيئه في عظمته التي لا نستطيع أن نتخيلها (الآن لا نعرفه بعد). أمثال هؤلاء لا يقدرون أن يروا الرب يسوع آتيًا في ملكوته، إذ هم مُمسكون بنوع من الضعف اليهودي (الأشياء العتيقة).

- في السيد المسيح ننال قلبًا جديدًا وفكرًا جديدًا وسلوكًا جديدًا وحياة جديدة، فلسنا فقط نتمتع بالتجديد المستمر في داخلنا، وإنما نرى أن كل شيءٍ جديدًا؛ فننطلع خلال عينيْ السيد المسيح لنرى خليقة جديدة، إذ نولد ثانية بالروح.

"ولكن الكل من الله، الذي صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة. أي إن الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعًا فينا كلمة المصالحة" [18 - 19]

- كل هذه العطايا التي تمس تجديدنا الداخلي، أو الخلقة الجديدة هو هبة من الله تمتعنا بها خلال المصالحة مع الآب في الرب يسوع. فإن كانت الخطية قد نزعت التصاقنا بالله وحطمت العلاقة به، فتحولت إلى عداوة، فإن عمل السيد المسيح الخلاصي هو المصالحة. صالحنا الله مع نفسه بابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح. ففي قوله "صالحنا لنفسه" يعلن إن الله هو الذي يطلب من جانبه المصالحة. نحن بادرنا بالعداوة والمقاومة والتمرد والعناد وهو الذي يبادر بالحب وطلب المصالحة. هو الذي يسعى إلينا مقدمًا لنا إنجيله، "كلمة المصالحة". وقال: "أعطانا خدمة المصالحة" أي لا تظنوا أننا نعمل بسلطاننا فنحن خدام. الذي يعمل كل الأشياء هو الله، الذي صالح العالم لنفسه. فقد قدم لنا إلهنا خدمة المصالحة، ووهبنا الكتاب المقدس، بكونه كلمة المصالحة، حيث تمتعنا بالسلام مع الله خلال دم الصليب. نزع الصليب روح العداوة التي سيطرت على القلب نحو الإلهيات والسماويات، وقدم روح المصالحة معها والالتصاق بها.

- يقول القديس أغسطينوس: قال الكتاب "كُوِّنَ العالم به، ولم يعرفه العالم" (يوحنا 1: 10)، أي عالم كوِّن به؟ وأي عالمٍ لم يعرفه؟ إنه ليس العالم الذي كُوِّن به؟ هل السماء والأرض؟ كيف لم تعرفه السماء هذه التي عند آلامه اظلمت الشمس؟ كيف لم تعرفه الأرض التي عندما عُلق على الصليب تزلزلت؟ لكن "العالم لم يعرفه" هذا الذي "رئيسُ هذا العالم آتٍ وليسَ لهُ فيَّ شيءٌ" (يوحنا 14: 30). يُدعي الاشرار العالم، غير المؤمنين يدعون العالم.. لقد نالوا هذا الاسم من أجل ما يحبونه. فبحبنا للعالم نُدعى "العالم" وبحبنا لله نصير أبناء الله.

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: أننا نسعي كسفراء عن المسيح، أي نيابة عنه، لأننا خلفناه في أعماله. في هذا لا تظنوا أنه يُطلب عنكم بواسطتنا، وإنما السيد المسيح نفسه يطلبكم بواسطتنا... لقد هوجم ذاك الذي يمنح عشرات الالوف من البركات. وإذ هوجم ليس فقط لم يستخدم العدالة، وإنما أيضًا بذل ابنه الوحيد لكي يُصالح... ماذا يطلب؟ "تصالحوا مع الله". لا يقول "صالحوا الله معكم". إنه لا يحمل كراهية بل أنتم تحملونها. فهو لن يحمل بغضة قط.

"إذًا نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله. لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه" [20 - 21]

- إن كان الله هو المبادر بطلب المصالحة، يليق بخدامه كسفراء عنه أن يبادروا من جانبهم بطلب المصالحة. إنهم يتوسلون إلى الخطاة أن يقبلوا هذه المصالحة باسم الله. الخدام كسفراء للسيد المسيح يمثلونه، معلنين إرادته في مصالحتهم مع الآب، والكشف عن حب الله الفائق لهم. كسفراء للسيد المسيح يطلبون عن الخطاة ويسألونهم أن يقبلوا عمله الخلاصي، فيتمتعوا بأحضانه الإلهية التي تحملهم إلى حضن الآب.
- إذ قبل السيد المسيح أن يكون ذبيحة خطية، وضع كل البشرية أيديهم عليه ليحمل كل ثقل الخطايا (لاويين 1، 3، 4). وإذ أخذ مكاننا، حُسب كمن هو أعظم الخطاة، ووهبنا أن نكون في عيني الآب أبرارًا، إذ نحمل برّ السيد المسيح، أي أن ذاك الذي هو بار صار خطية، أي تألم كخاطي مُدان كمن لُعن ليموت لأجلنا.
- هكذا قدم لنا هذا الإصحاح عرضًا رائعًا لمفهوم الخلاص وخدمة المصالحة مع الآب وتمتعنا ببرّ السيد المسيح، إذ أخذ مكاننا وقدم نفسه عنا ذبيحة خطية.